عقدة اليهود فى الغرب

النفس اليهودية ـ كما رأيت ـ نفس معقدة ؛ فإن اليهودى لا يزال يطرق باب مجتمع من المجتمعات ، ويبكى ويستعطف ، ويتمسكن ويتصاغر ، حتى إذا فتحوا له الباب وأذنوا له فى أن يعيش مع الناس أبى إلا أن يكون سيدهم ! وأخذ يذكرهم ما تركوه خارج الباب يرجو ويستعطف ، ويصر على أن يملأ نفوسهم بعقدة الذنب ، فإذا سلموا له بذلك ـ خلاصاً من إلحاحه ـ أسرع يطلب العوض أو التعويض ، وهنا لا يكفى الاعتذار ، بل لابد من أداء المال !والمال فى النهاية سلاح رهيب فى يد اليهود !

ذلك لأن الناس كانوا يقتنون المال ليسعدوا به ، أوليكسبوا السؤدد ورفعة المكانة عند الناس ، ثم جاء اليهود ، فعلَّموا الناس درساً جديداً : هو أن المال قوة تقهر النفوس وتذل الرجال.

لهذا لا تجد يهوديًا إلا همه جمع المال ، فإذا جمعه استمتع به وأسعد نفسه بأيسره ! ثم سعى إلى إتعاس الناس بمعظمه !

ولقد قرأت مسرحيـة « تاجر البندقية » ولاشك ، ورأيت كيف أصر شـيلوخ اليهـودى المرابى على أن يستقـضى دينه من لحم قلب أنطونيو ؟

ومن المؤكد أيضاً أنك قـرأت كلام بورشيا صاحـبة أنطونيو ، وكـيف أزاحت النقـاب عن النفس السـوداء التى تسـتكن بين أضلاع شيلوخ ؟

ولعلك لا تعرف أن هذه المسرحية محرمة الآن فى الغرب كله؛ لأن فيها مساساً بالذات اليهودية !

والذى يعنينا هنا أن شيكـسبير فى مـسرحيتـه تلك لم يفعل أكثـر من أن يعرض علينا رأى أهل الغرب فى اليـهود وموقـفهم منهم ؛ لأن اليهود فى الحقيـقة مشكلة أوربية ربما قبل أن تكون مـشكلة عـربيـة ، فنحن قـد ابتلينا باليـهـود من أيام الانتـداب الإنجليزى على فـلسطين ، ولكن الغرب الأوربى مبـتلى بهم من أيام النهضة الأوربية .

وشيكسبير لم يتحدث من فراغ ، ولم يوجه كلامه إلى فراغ ! وإلا فما كان شيكسبير !

والآن فلْنعد مرة أخرى إلى بيريفيت ؛ لنتابع معه الدراسة !

سنرى معـه أن بغض أهل الغرب لليهود يفـوق بغضنا إياهم بمراحل !

وأن هذا البغض دفع الكثيرين هناك إلى الدراسة والبحث عن أسرار اليهود ؛ لعلهم يعرفون : كيف يعيشون معهم فى سلام ؟

وسنبدأ بإيجاز مـا جمعه بيريفيت من معـلومات عن الأسماء فى الغـرب ودلالاتها بالنسـبـة لليهـود ؛ لأن موقف الغـرب من اليهود جعله يحرص على التعرف عليهم بمجرد دلالة الأسماء ، وفى هذه الناحية تقرأ له كلاماً هو الغاية فى العمق والطرافة .

الأسماء ودلالاتها :

إن أسماء اليهود وألقابهم فى أوربا معروفة بسماتها لا تخفى على أحد ، ولو شـابهت فى مظهرها أسمـاء المسيحـيـيـن ، بل إن طريقة كتابتها تنم عليها :

فأى إنسـان فى ألمانيا مثلاً يسـمى بالكلمة Schwartz يقطعون بأنه يهـودى أو يهودى الأب ؛ لأن الكلمـة الألمانيـة الصحـيحـة Schwarz ، ومـعناها الأسـود ، والفـرق بين الاثنين حـرف (t) الذى يسـبق الـ Z فى اللقـب اليـهـودى ؛ لأن اللـفظ الألمانى إذا

استعمل لقباً ليهودى حرفوه بعض الشيء كما رأيت ؛ لهذا أيضاً يقولون Yüne فىYrün ومعناها الأخضر، و Waiss فى Weiss ومعناها الأبيض .

وكل ما يبدأ بجولد عندهم يهودى ، ما عدا Goldsmith أو Goldschmidt فهو مشترك ، ومن هذا القبيل جولد كيند Goldkind وجولدا ماير Goldmeyer وجولد ووتر Goldwater (محرف عن Goldwasser) وكذلك Goldet عند الفرنسيين و Goldski عند البولونيين .

ولكننا ينبغى أن نعرف أن الأسماء التى تبدأ بمقطع Roth مثل Rothchild Rothmeyer و Rothmund ـ يهودية .

أما إذا كتب هذا المقطع بدون حرف h أى rot ومعناه الأحمر ـ فليس من الضرورى أن يكون صاحبه يهوديًا ؛ والسبب فى ذلك أن الألمان كانوا يحرمون على اليهود حمل أسماء ألمانية ، فإذا أخذوا اسماً ألمانيا كان عليهم أن يكتبوه بصورة تدل على أن صاحبه يهودى ؛ ولهذا أضافوا حرف h إلى لفظ Rot فصار Roth.

وكان اليهود ـ فيما مضى ـ يحاولون التخلص من الأسماء

اليهودية ؛ لكى يتسربوا داخل المجتمع الأوربى : ومن هذا القبيل تحريف اسم ليفى إلى صور مختلفة مثل :

Levson, Lavit, Levin, Lav, Levski, Lavy, Leewy, Lenvit, Livit,

.. وقد لعب اليهود بهذا الاسم على كل صورة ممكنة ، بل هناك يهودى قلب الاسم فسمى نفسه Yvel ..

وكذلك كل اسم ينتهى باشتاين Stein مثل Rubinstein وبرنشتاين Bernstein و Milstein ، ولفظ (روز Rose) وكل ما يشتق منه : Rosefeld (روزفلت) و Rosemund Rasengarten كلها يهودية .

وللمؤلف فى أثناء كلامه اكتشافات غريبة ، مثل قوله : إن اسم Mozart محرف عن اسم موسى بالألمانية Moses، ومثله فى ذلك اسم Mazor و Mazar ، ولو صدقنا ذلك لكان من اسمه موسى عندنا يهوديًا أو من أصل يهودى ، وهذا أمر فى مفهومنا نحن العرب لا يستقيم .

وهو يشير فى أثناء ذلك إلى كتاب أصدره النازيون سنة ١٩٣٩ بعنوان « اليهود فى فرنسا » ذكروا فيه كل يهودى ذى أهمية أو خطر فى فرنسا ؛ تحذيراً من التعامل معهم ، والكثير

من الأسماء الواردة فيه ترجع نسبته لليهودية إلى الشكل والرسم .

واعتماداً على هذه التخريجات يقول المؤلف (ص ١٤٤ ـ ١٥٨) : إن معظم أهل الذكاء والعبقرية والابتكار فى أوربا ـ فى كل ميدان تقريباً ـ إما يهود أو من أصل يهودى .

وأنت تسأل بعد ذلك : إذن أين نصيب المسيحيين فى بناء صرح الحضارة الأوربية ؟ وماذا فعلوا ؟ وإذا كان كريستوف كولمب وواكسمان Waxman (مكتشف البنسلين) وموباسان Maupassant وفلوبير Flaubert ودوديه Daudet وكوخ (مكتشف ميكروب السل) وفونك Funk (مكتشف الفيتامينات) وفاسرمان Wassermann (الذى فتح فى التحليل الكيمياوى بابا عظيماً) ورينان Renan وسولك Salk (مكتشف ميكروب المصل المضاد لشلل الأطفال) ومن إليهم ـ يهودا ، فأين عظماء المسيحيين ؟

حتى الممثلون ـ من أمثال مارلون براندو ـ يراهم مؤلف الكتاب يهودا .

وحجته فى ذلك أن اسم Brand وكل ما يشتق منه فى الألمانية تغلب عليه اليهودية : Brandt- Brandin- Brandon- Brandeis إلخ ..

وكذلك الممثلة دانيل داريه Danielle Darieux والممثلان المشهوران جيرار فيليب Gerard Philippe وجان بير « أومون » Jean Pierre Aumont يهود فى رأيه ؛ لأن اسم أومون محرف عنده من سلومون .

وهو يرى أن أعاظم الرسامين فى عصرنا يهود : موديليانى Modigliani وبيسارو Pissarro وتشاجال Chagall ومن إليهم .

وهؤلاء جميعاً من قادة حركة الانحطاط فى التصوير الذين أخذوا بمذهب التشويه الذى ابتدعه بيكاسو ، وهو عنده يهودى الأصل أيضاً ..

حتى شاى لبتون وساعات ليب Lip ولونجين Longines وأدوية لا روش يراها يهودية ؛ لأن أسماء أصحابها ترد فى «السيمى ـ جوتا » بصور شتى ..

جنون ! ولكنه جنون مفيد ؛ لأنه ينبه ويوقظ .

والمؤلف يعرض هذه الآراء والمعلومات فى محاورات بين بطل كتابه المسمى جورج سار ـ وهو متحمس لليهود ـ وشخصيات أخرى كارهة لليهود حاملة عليهم ، مثل الأب « بريساك » الذى سنتحدث عنه فى الفقرة التالية ، أو سيدة تسمى « ماريا » ذات معرفة بشئون اليهود .

ومن الأضاليل الكبرى قوله : إن معظم عظماء التاريخ يهود !

وهذه واحدة من الأضاليل الخطرة التى نجح اليهود فى غرسها فى عقول الناس ، حتى أصبحت وكأنها الحقيقة التى لا يرقى إليها شك ! فما من عظيم فى التاريخ إلا سمعت فى الغرب من يقول عنه : إنه يهودى أو من أصل يهودى ! فهناك مثلاً من يقولون : إن بتهوفن يهودى ، وليوناردو دافنشى من أصل يهودى ، بل بلغ من جرأتهم أن زعموا أن كولومبوس مكتشف العالم الجديد يهودى ، مع أن الرجل مسيحى عريق فى مسيحيته ، وقد زعم اليهود ذلك حتى يكونوا أصحاب الفضل الأول فى اكتشاف العالم الجديد !

وهناك من يؤكدون أن أول طفل ولد فى أمريكا الشمالية كان

يهـوديّا . وما زال اليـهود يصـرون على تكرار ذلك واسـتخـدام الناس فى قوله ، حتى أصـبحت اليهودية مرادفة للعـبقرية فى حسبان بعض الغافلين !

ومع كل مـا تمتع به اليـهـود من حرية وتسـامح وعـدل فى المجتـمع الإسلامى خـلال العصـور الوسطى ، لم يصلوا قَطُّ إلى السيطرة على الشـئون التجارية والمالية فى بلاد الإسـلام ، فقد ظلت التـجـارة دائمـاً فى أيدى المـسلمـين ، وخـاصـة بعض جمـاعاتهم كـأهل البصـرة وإيران واليمن وحضـرموت وعـمان وأهل الدلتا فى مصر والسوسية فى المغرب وأهل الأندلس . ولم يسيطر اليـهود على شئـون المال قط ، فظلت الصيـرفة فى أيدى المسلمين ، بل كان هناك اتجاه عند المسلمـين إلى عدم ترك أعمال الصيـرفة فى أيدى اليهود ؛ خـوفاً على مال المسلمـين من أعداء الإسلام بحسب مفهوم العصر الوسيط .

الأوربيون أشد الناس كراهة لليهود :

يضع بيـريفـيت مـعظم الكلام المعـادى لليـهـود على لسـان شخصـية يهودية فى كتابه تسـمى « ماريا » وينبغى ألا ندهش

من علم هذه السيدة باليهود وحملتها العنيفة عليهم ؛ فإن تقصى أخبار اليهود عادة منتشرة بين الأوربيين ، والتماس مثالبهم والحملة عليهم فى أوربا شىء شائع ، وإن كان الكثيرون منهم يسترونها اليوم ؛ خوفاً من اليهود حيناً ، وظنّا منهم أن ذلك أمثل بالرجل المتحضر ! وفى بلاد أوربا كلها الكثير من الجمعيات المناهضة لليهود صراحة ، ونحن ندهش لذلك ؛ لأننا لا نفعله ! ومن عجب أنهم يتهموننا نحن اليوم بكراهة اليهود ، ويزعمون أنهم يحبونهم ويقدرونهم ، وهم يعلمون أنهم فى ذلك جد كاذبين !

ذلك كله كذب ورياء ؛ لأن كراهة اليهود هناك لا يمكن انتزاعها من القلوب ! وإذا كانوا يأخذون على البابا يوحنا الثالث والعشرين شيئاً فهو هذه المؤاخاة التى نادى بها مع اليهود ، وكل قس أو راهب أوربى يكتب اليوم كتاب عطف على اليهود أو مؤاخاة لهم ينظرون إليه على أنه منافق متملق ! وروجيه بيريفيت يعبر عن ذلك بعبارة يسوقها على لسان الأب بريساك ، فقد قال مشيراً إلى كتاب ألفه قس بعنوان « إخوانى اليهود ! » : « سننتظر ـ دون شك ـ وقتاً طويلاً حتى يكتب يهودى كتاباً بعنوان « إخوانى المسيحيين ! » ..

« لقد قلت لك : إنهم لـن يرضوا عنا أبداً حتى نعـيد النظر فى كل ما كتبناه فى الماضى ، وفى تـقويمنا كذلك . وهذه الإعادة فى طريقهـا بالفعل ، فهـا هم أولاء قد ألغوا من بين القـديسين اسم سـيمـون : قـديس مـدينة ترينت الذى عـذبه اليـهود وذبحـوه وخلطوا دمه بعجين خبز أكلوه ! هكذا تقول الحكاية » .

وبعـد قـليل يقـول الأب بريـسـاك : « .. لا تنس أن زمـيلنا الكاردينـال بيـا (Bea)[1] كـان قس الاعتـراف الرسمى للبـابا بيـوس الثانى عـشر . وإذا نحن اسـتثنينا أصـحاب العـواطف المضطربة والوصوليـين ـ فأين هو المسيـحى المستعد لمراجـعة آرائه فى اليـهود وتعـديلهـا بحسب مـا يريد المجـمع المسكونى الثانى بـالفاتيكان ؟ ـ فليـصالح اليهـود العرب أولاً، فـهؤلاء لا تدخل المسيحية فى حسابهم إلا بالقدر الذى تدخل به فى حساب الشيوعيين ـ أو بالقدر الذى كانت تدخل به فى حساب هتلر[2].

ربما كان السبب فى كراهة هتلر لليهـود أنه كان يذكر ما قاله مارتن لوثر فى سبهم والحملة عليهم .

---

(١) هو من كبار كرادلة الفاتيكان ، وقد اشتهر بتأييده لليهود .

(٢) يريد أن المسلمين لا يكرهون المسيحيين ، وهذا حق .

ثم يقولون : إن البروتستانت يحبون اليهود ! أو إن اليهود يتحولون إلى البروتستانتية بأسهل مما يتحولون إلى الكاثوليكية !

ـ لا تغالط أيها الأب ، فالحق أنه لم يبق من كبار اليهود فى معابدهم إلا آل روتشيلد وآل جولد تشيلد .

ثم يذكر له الطائفة من كبار اليهود الذين تَنَصَّرُوا ويضيف حكاية تؤكد أن اليهودى لا يتنصر عن إخلاص حقيقى أبداً .

لم يستعبد أحد اليهود كما استعبدهم الأوربيون

واليوم يتظاهرون بالعطف عليهم :

وهذا الكلام بين جورج سار والأب بريساك ـ وهما شخصيتان متخيَّلتان كما ذكرنا ـ يقودنا إلى أعنف فصول الكتاب حملة على اليهود :

(الفصل السابع من الباب الثالث ، ص٢٧٧ وما يليها).

ولما كان الكتاب يورد كل شىء عن اليهود فى فرنسا وأوربا فهو تارة يورد فضائلهم وتارة نقائصهم ، وفى هذا الفصل نسمع حقيقة رأى أوربا فيهم كما يعبر الأب بريساك .

يشير الفصل فى أوله إلى ما فعله دانييل روبس Daniel Rops كاتب المسيحيات الفرنسى الأشهر من عدوله عما أورده فى كتابه المسمى « المسيح وعصره Jesus et son temps » من سب شديد لليهود ، وحذفه ذلك فى طبعات الكتاب التى ظهرت بعد صدور قرار المجمع المسكونى الثانى فى الفاتيكان بالاعتراف باليهودية ديانة سماوية صحيحة ، ويقول : إن ذلك كان مجاملة أيضاً للكاتب اليهودى جول إسحاق ، ويضيف أن دانييل روبس لابد من أصل يهودى ؛ لأن اسمه الحقيقى Petiot مصغر Petit ، وهو لقب من ألقاب اليهود الشائعة .

والأب بريساك يرى أن أوربا مخطئة كل الخطأ فى استرضاء اليهود ، وتحقير نفسها بسببهم ، وإهانة دينها المسيحى استجلاباً لمرضاتهم ، ويقول :

صدقنى ! إن الإنسان ليحسب أن المسيحيين هم الذين أرسلوا اليهود إلى معسكرات الاعتقال آوشفتز مع علمك بأن الذين فعلوا ذلك هم أعداء المسيحية من النازيين ، ولكنه نصر ـ أى نصر لليهود ـ أن يلزموا المسيحيين الاعتراف بجريمة أكبر ارتكبت فى

حقهم ! ولقد كان الأب جراترى Gratry يقول : إن أوربا ارتكبت خطيئة أبدية بتقسيم بولونيا بين الروس والنازيين ، ثم يجيء اليهود والمتحمسون لهم فيزعمون أن خطيئة أوربا أكبر بسبب آوشفتز ، وفى المجمع المسكونى وقف الكاردينال كاشنج Cashing أسقف بوسطن ، وأخذ يسرد جرائم المسيحيين فى حق اليهود !

ولكن من المسئول عن مآسى اليهود قبل النازية ؟ لقد أرادوا أن يتظاهروا بأنهم يعيشون على هامش المجتمع المسيحى وإن كانوا فى صميمه ! إننا لا نكره العرب (يريد المسلمين) ؛ لأنهم - على الأقل - يعيشون خارج مجتمعنا . ذلك هو سبب مأساة اليهود[1] ، وستبقى ما بقى فى الدنيا يهود !

يطالبون بتعديل الكتب المسيحية المقدسة :

ويحمل بريساك بعد ذلك حملة عنيفة على ما يقومون به اليوم من حذف كل ما يسيء إلى اليهود من الأناجيل ، حتى

---

(١) أى أن مشكلة اليهود بالنسبة للغرب المسيحى هى دخول اليهود فى ذلك المجتمع واختلاطهم الشديد ونجاحهم فى السيطرة على بعض قطاعاته .

عذاب المسيح فى أخريات أيامه ، أو ما يسمى باسم La Passion فى اللاهوت المسيحى ـ يريدون حذفه أو تخفيفه على الأقل تخفيفاً لمسئولية اليهود .

وهنالك من يطالبون بإلغاء إنجيل متّى ؛ لأنه شديد العنف على اليهود ، ناسين أن إنجيل متّى هو أساس صدارة كنيسة روما على غيرها من الكنائس ، ومن ثم فهو الأساس القانونى الدينى لدعوى سيادة بابا روما على غيره من رؤساء الكنائس الكبرى .

وهناك يهودى إيطالى يسمى Latte ينادى بأنه لابد أن يطبع فى نص الإنجيل إلى جانب العبارات التى تصف عذاب المسيح ـ عبارات تعليق تجرد كلمات الإنجيل من كل قيمة ! وعامة اليهود يرون أن تلقى مسئولية عذاب المسيح ـ بحسب اللاهوت المسيحى ـ على جنود الرومان وحدهم ، ولما كان الإيطاليون هم سلائل الرومان فإن مسئولية الجريمة ستحط على رأس ٤٥ مليون إيطالى !

ثم يشير المؤلف إلى إصرار اليهود فى الولايات المتحدة مثلاً ـ على تحريم كتب كبيرة مثل « تاجر البندقية » لشكسبير ؛ لأن

فيها إشارات غير موالية لليهود ، ويقول : إن نتيجة ذلك عكسية، فقد نجح يهود نيويورك فى استصدار قرار بتحريم الصلاة المسيحية فى الصباح فى المدارس ؛ لأن تلك الصلاة تجرح شعور اليهود ! والنتيجة أن كراهتهم زادت فى الولايات المتحدة كلها ، ونشطت جمعية كو ـ كلوكس ـ كلان بعد طول خمول !

ويتحمس الأب بريساك فيقول : إن الخيانة فى جوهرها يهودية .

فإذا قلت : « خيانة » فإنك تعنى اليهود !

ويقول : إن أول خائن يعرفه تاريخ فرنسا يهودي !

ويقص حكايات كثيرة عن خيانات يهودية .

ولكن هذا الأب يحمله الحماس إلى قول سخافات مثل زعمه أن اليهود أيدوا الإسلام ليحاربوا به المسيحية ! وقال : إن هذا المعنى قال به أب دومينيكى يسمى Thierry فى كتاب له عنوانه « من موسى إلى محمد (De Mösé Mohamet) » ثم يضيف أن العلاقة بين المسيحية واليهودية مثل العلاقة بين أعلى درجات السلم وأدناها ! وأن طيبة قلب المسيحيين هى التى سمحت

لبعض اليهود بالصعود فى السلم الاجتماعى عن طريق التنصر، وأن اليهود لا يحترمون غير القوة ، والذين يتنصرون منهم إنما يبايعون القوة لا المسيح !

ويسخر هذا الأب من كل محاولة للتقريب بين المسيحية واليهودية قائلاً : إنها محاولات لخداع المسيحيين ، وينقد البابا بيوس الحادى عشر ؛ لأنه قال : إننا ساميون من الناحية الروحية .

أمثلة من سوء معاملة اليهود فى أوربا :

وفى فقرة طويلة يذكر الأب بريساك مثالب اليهود وما اشتهروا به من ذميم الصفات : ومن ذلك قطعة من الشعر اللاتينى نظمها شاعر يسمى سيسا Sessa كانت شائعة فى العصور الوسطى كلها ، تقول :

جنس محتقر ، كريه الرائحة ، وقح ، حسود .. !

ناشر أمراض ، بلا شرف ، مهمل ، بغيض ، خسيس !

قذر ، بخيل ، عنيد ، ملعون ، مشاكس !

لا تُقى فيه ، جحود ، جشع ، غير كريم ، شديد العداوة!

ومن ذلك مـا قاله ڤكـتور هيـجو فى يهـودى تنصـر على يد البابا، ثم عـهـدوا إلـيه بعـد ذلـك فى مرافـقـة الدوقـة دوبيرى Du Berry لحمايتها فى السفر ، فباعها بخمسة آلاف فرنك :

الشرف والإيمان والقسم

ذلك ما باعه اليهودى دون ألم !

ومن ذلك أيضاً ما قاله الفيلسوف الفرنسى بوسويه Bossuet:

« أيها الـشعب الملعـون ، هذا الدم سيـتعقـبكم إلى آخـر وليد لكم» ومـا قـاله البـابا بولس الرابع : مـن أنهم شـعب خُلق للاستعـباد ، وأنهم شعب فى غاية السـخف ، وهو الذى أمر بأن يحـبس يهـود رومـا فى حـواريهم ، أى أنه أنشـأ «الجـيـتـو » الرومانى !

وقد حـرصت الكنيسـة أجيـالاً متوالـية على إنكار أن السـيد المسيح كان يهوديّا ، ولو أنه ولد بين اليهود ؛ ولهذا قالت بأصله الإلهى ، وبقلبه المقدس ، واسمه المقدس ، والمسيح الملك ، وما إلى ذلك من العـبـارات التى تنفـى نفـياً بـاتّا أى صلة بين المسـيح ويوسف النجار ، وتؤكد أنه ابن الله !

واستمرت الكنيسة تنص على ذلك حتى آمن الناس في أوربا بأن السيدة العذراء ليست من آل هارون وإن كانت قد ولدت فيهم ! فكان المسيحيون ـ وهم يقتلون اليهود فى مذابحهم الكثيرة فى أوربا ـ يهتفون : تحيا مارية !

وقد أنكرت السيدة العذراء نفسُها أى صلة باليهود عندما ظهرت ـ فى الأسطورة ـ لبرناديت وقالت : أنا الحَمْل (بفتح الحاء وسكون الميم) الطاهر .

ويقرر الكتاب ما كان اليهود فيه من ذل فى أوربا طوال العصور الوسطى : فإلى جانب الاحتقار والمهانة والمقاطعة وإرغامهم على العيش فيما يسمى « بالجيتو » وهى حارات ضيقة قذرة ذات كهوف وسراديب تحت الأرض ـ كانوا يتعرضون لكل صنوف الأذى دون أن يتعرض من يؤذيهم لأى لوم !

ففى عيد « أحد السعف » فى مدينة بيزييه فى جنوبى فرنسا، كان الجمهور يتسلى بمطاردة اليهود ورميهم بالأحجار ، زاعمين أنهم بذلك ينتقمون منهم لما اقترفوه فى حق السيد المسيح !

وفى تولوز كانت العادة أن يُستدعى رئيس اليهود إلى بيت الحاكم يوم « أحد الفصح » حيث يتلقى أمام الناس صفعة عنيفة انتقاماً للمسيح ، وقد تعمد أحد الفرسان مرة أن يصفع اليهودى بيده فى قفاز حديد ، فضربه بعنف ضربة تناثر منها مخه !

وفى روما كانوا يرغمون اليهود على الرقص عرايا فى مهرجان أمام الناس أجمعين والسياط تلهب ظهورهم إذا تراخوا فى الرقص .

وكان أحد البابوات يأمر بوضعهم فى براميل تبرز من جدرانها المسامير ، تدحرج من أعلى تل تستشيانو !

وفى إسبانيا والبرتغال كانوا يُحرَقون أحياء بالمئات ، وآخر يهودى أحرق فى إسبانيا كان سنة ١٨٢٥ .

وفى جنوا كانوا يُحبَسون فى أقفاص حديدية ويحرمون الطعامَ والماء إلى أن يقبِّلوا الصليب ، وقد مات الكثيرون منهم دون أن يقبِّلوا !

أما فى أوربا الشرقية فإن احتقار اليهود واضطهادهم كانا من

مبادئ الحكومة القيصرية ، وهذا هو السبب ـ فيما يظن يهودى يسمى فرانك ـ فى أن اليهود كانوا من دعائم الدعوة الشيوعية ، وهذه الحقيقة أمر معروف سمعنا عنه كثيراً ، ولكن روجيه بيريفيت يعطينا معلومات نستطيع الاعتماد عليها فى هذا الموضوع ، فيورد أسماء العشرات من أقطاب الشيوعية من اليهود (ص٣٤٥ وما بعدها) ، ولكنه يشير أيضاً إلى أن ستالين طارد اليهود ، وقد سُئلَ فى ذلك وقيل له : عجباً لاضطهادك اليهود وقد كنت فى أيام الثورة تشجعهم وتثنى عليهم ! فأجاب :

نعم ؛ لأن هدفنا إذ ذاك كان الهدم ، أما اليوم فنحن نريد البناء!

وفى هذه الصفحات صورة واضحة لأحوال اليهود فى البلاد الشيوعية اليوم وأسماء الكثيرين من زعمائهم .

وفى فصل كبير يتحدث الكتاب عن اليهود فى عالم المال فى فرنسا : فيذكر أسماء معروفة هناك ذات قوة وسيطرة على دنيا المصارف والمتاجر مثل: رويف Rueff ، وبلوك لينيه Block- Lainé وروزن شتوك Rosenstock وفرانك Franck وهيرش Hirsch

ونورا شفايتزر Schweitzer ، وناثان ، ويذكر أشياء كثيرة عن تواريخهم وثرواتهم وكيف جمعوها كلها بطرق حرام .

وفى صفحة ٤٥٣ يذكر بعض اليهود الذين وصلوا إلى تولى وزارة المالية فى شتى البلاد ، ويذكر من بينهم (قطاوى) فى مصر ، و (نسيم أفندى روسو) فى تركيا .

ثم يتحدث عن وزراء المالية الفرنسيين من اليهود ، ويعقب ذلك بالكلام عن اليهوديين برنارد باروخ ومورجنتاو Morgenthau ، وبعض تفاصيل غريبة عن اجتهاد يهود الولايات المتحدة فى تحريض الرأى العام الأمريكى على ألمانيا ، وضرورة إعلان الحرب عليها سنة ١٩١٧ تأييداً ليهود ألمانيا الذين كانوا يعيشون فيها ويتمنون هزيمتها !

وفى الوقت نفسه نرى (ص٤٤٥) كيف كان اليهود سعداء فى ألمانيا إذ ذاك حتى إن ألمانيا كانت تسمى جنة اليهود . والرجل الذى كتب نشيد الكراهية الألمانية للإنجليز كان يهوديًا اسمه Lissauer ! وهنا نقرأ تفاصيل هامة عن تشجيع الماليين اليهود للثورات وتمويلها ، ومنها ثورة الاشتراكية الوطنية الألمانية بقيادة أدولف هتلر ، وقد سمى فى وقت ما ، سنة ١٩٣٨

« ربيب آل إسـرائيل وصنيـعتـهم » ! وفى سيـاق ذلك نعلم أن ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر الـيهودى العالمى هو الذى نصح إديناور بأن يقدم المعاونات المالية والحربية لإسرائيل .

وفى ص ٤٦١ ـ ٤٦٣ نقرأ عـبارة جديرة بالتأمل عن اليـهود وإسرائيل ، عـبارة طويلة يقـولها يهودى فـرنسى اسمـه فرانك يهاجم فـيها مـا يطلبه رجـال إسرائيل إلى كل يهـود الدنيا بأن يكونوا كما قال ويلينسكى Roy Welensky رئيس وزراء روديسيا اليهودى : « أنا خمسـون فى المائة بولونى ، وخمسون فى المائة يهودى ، ومـائة فى المائة إنجليزى ! » هذا اليهـودى فرانك يمثل جناحاً يسمونه بالجناح اللاصهـيونى من اليهـود . وهو يقول (ص٤٦٢) : « إن جنون الـعظمـة فى دولة إسـرائيل يخـيل لرجـالها أن نفـوذ اليـهود فى بلاد الغـرب ينبـغى أن يكون فى خدمتهم ، ومن المفهوم أن ذلك يثـير جيرانهم العرب الذين كانوا لا يتمـتعون بنفـوذ أو بتأييد فى بلاد الغـرب (إلى حين قريب) بسبب دعاية اليـهود ضد كل ما هو عربى . قـد يحدثنا عن سوء تصرف اليـهود ، ولكن سـوء تصرف الإسـرائيليين أخطر ؛ لأنه يعرض للخطر يهود الدنيـا جميعاً . فإذا كانت إسـرائيل تقتصر

على اعتبار نفسها بلد اليهودية فإن يهود الدنيا كلها سيحبونها دون أى شائبة ، أما إذا أرادت أن تؤدى دوراً سياسيًا ، إذا رأت فى نفسها صربيا(١) جديدة قادرة على أن تثير حرباً عالمية ، فإننا جميعاً سنتبرأ منها» .

ويختم ذلك اليهودى فرانك كلامه هذا بقوله : إن إنجلترا أيام الانتداب كانت لا تساعد اليهود على الهجرة ؛ ولهذا أعلنوا عليها الحرب .

الكتاب ـ إذن ـ حافل بالمادة كما قلنا ، ومن المستحيل ماديًا عرض ما فيه فى صفحات قليلة كهذه ، ولابد من الوقوف بالعرض عند نقطة ما ، وسأختار العبارة التالية فأقف عندها لأعطى القارئ مثلاً من إحاطة المؤلف بشئون الدنيا وما فيها : العبارة واردة فى خطاب موضوع على لسان راهب يسوعى يسمى إكزاڤييه دى ترين Xavier de Trennes (ص٥٠٥) والكلام فيها عن البابا الحالى بولس السادس :

.. إنه رجل من أهل اليمين ، أرستقراطى النزعة شديد الخلق ،

---

(١) إشارة إلى أن مقتل ولى عهد النمسا فى بلدة سراجيفو فى مقاطعة الصرب (فى جمهورية يوغوسلافيا الآن) كان الشرارة التى أوقدت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ .

وقد وجد هذا الرجل عند مجيئه مجمعاً مسكونيًا معقوداً وفى طريقه إلى الفشل إذا قسناه بالآمال التى كان يعلقها عليه يوحنا الثالث والعشرون[1] ، فإن التقارب مع البروتستانت ما زال نظريًا ، برغم الزيارة المسرحية التى قام بها الأسقف المبجل جداً السيد فيشر أسقف كانتربرى الملقب بابن النور . وقد اجتهد الكرادلة تيسران وأجاجيانيان وطبونى Tappouni ـ بعد ما فعله الكردينال كوسا Coussa ـ فى كسب ود الأرثوذكس ، فلم يوفقوا. ما زال البطريق أثينا جوارس يرفض أن يتقدم إلى الحد المطلوب؛ لذلك ذهب البابا بولس السادس بنفسه مقلداً محمداً الذى ذهب إلى الجبل عندما رفض الجبل أن يذهب إليه (أسطورة سخيفة شائعة فى أوربا)[2] إن رئيس الكنيسة الأورثوذكسية مستعد لمقابلة البابا ، ولكن فى القسم العربى من

---

(١)هو البابا السابق على بولس السادس ، وكان مشهوراً بميله إلى اليهود واستماعه لكلام الكاردينال بيا .

(٢) المثل يقول : إذا لم يذهب الجبل إلى محمد ذهب محمد إلى الجبل . وليس المقصود هنا رسول الله ﷺ على أى حال .

القدس ، ولا ندرى : هل المفتى الحاج أمين الحسينى[1] سيقرر أن يكون ثالثهم فى ذلك الاجتماع ، فى هذه الحالة ستتحقق أمنية فولتير عندما قال :

أتمنى أن أرى البابا خارجاً من القداس فى صحبة المفتى راقصاً !

ولابد أن نذكر هنا أن الكتاب صدر سنة ١٩٦٥ أى قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، وقبل حرب سنة ١٩٧٣ المظفرة .

هذا ما يقوله عن اليهود واحد من أكبر كتاب فرنسا اليوم ، وقد كانوا ـ عندما صدر الكتاب ـ فى أوج قوتهم فى العالم كله ، بعد أن أوهموا الدنيا أن إسرائيل ـ دولة اليهود ـ هى دولة المستقبل ، وأنها قامت فى الشرق الأوسط لتحمل إلى أهله الحضارة والتقدم ! وقد قال هذه العبارة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ كاتب يهودى يزعم دائماً أنه من المعتدلين هو إريك رولو ، ولابد أنه الآن قد تراجع عنها ؛ فقد تغيرت خريطة الشرق الأوسط

---

(١) هذه العبارة كتبت عندما كان الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين رئيساً لجبهة التحرير الفلسطينية .

وكل المفهومات عنه فى أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة وما تم بعدها من انقلاب عام فى علاقات اليهود بالغرب ، وعلاقات إسرائيل ببقية يهود الدنيا ، وموقف إسرائيل من العرب .

لقد تغير كل شىء ، وزالت الأوهام ، وسقطت الحجب ولكن العربى الواعى ينبغى أن يذكر دائماً أن طبيعة إسرائيل لم ولن تتغير إلا إذا انكسرت قواها العسكرية انكسارًا تاما ، أو إذا تعرضت لضغط شديد تشعر معه أن وجودها فى خطر ، هنا يتغير أهل الصلف فى إسرائيل إلى أهل تذلل ؛ لأن نزعة الكبرياء تتلاشى ، وتحل محلها غريزة المحافظة على النفس ، وهى قوية جداً عند اليهود !

وأكثر من مرة فى التاريخ نجد اليهودى يفر بجلده تاركاً ما جمع من مال كثير ، وهو لا يأسف كثيراً على هذا المال ؛ لأن جلده عنده أعز من كل شىء !

بدون ذلك لن تتخلى دولة العدوان عن عدوانها ، وكل ما نقرؤه أحياناً من نزول عن أحلام الماضى إنما هو خداع نفسى أو خداع الآخرين ، ففى صميمها لم تقم إسرائيل إلا بدافع الحقد

على العرب ، وفى قلوب رجال مثل ليفى أشكول وبن جوريون ومن إليهما نجد هذا الأمل الأسود راقداً فى الأعماق !

لابد إذن أن يُرغم اليهود على التخلى عن أوهام السيادة على العرب . هم أنفسهم لن يتغيروا أبداً ، لقد عاشوا فى الحلم من خمسين سنة ، فكيف يتخلون عنه بعد أن تصوروا أنه فى متناول اليد ؟

هذه الفكرة السوداء غرسها فى نفوس اليهود رجل مريض هو تيودور هيرتسل ، وكل من يفهمون اليهود فَهْمًا صحيحاً يعرفون أن كل التجربة الإسرائيلية فى أرض العرب مصيرها إلى الفشل ، وفى يوم من الأيام سيذكر التاريخ أن تيودور هيرتسل ومن تبعه من أمثال ماكس نورداو ودافيد بن جوريون وموسى شيرتوك وليفى أشكول وجولدا ماير وموشى ديان ومن إليهم من الذين يحلمون ببناء مجد يهودى على أساس ذل عربى ـ كل هؤلاء سيذكرهم التاريخ على أنهم حفنة من المرضى أنزلوا بشعب إسرائيل كارثة هى أقسى مما أنزله بهم آدولف هتلر !

لقد دخلنا ـ نحن العرب ـ بعد نصر أكتوبر فى عصر جديد ، ولكن من يسمونهم بصقور إسرائيل مازالوا يعدون أنفسهم صقوراً ، وقد تحطم منهم المنقار وغشى البصر وهيض الجناح !

ومع هذا فلابد من الحذر ، والعربي اليتيم الجالس فى مأدبة اللئام ينبغى أن يكون لئيماً فى عالم اللئام . ونحن اليوم فى محاولات سلام .

ولكن إذا سألتنى اليوم : ماذا يعمل أبناء صهيون ؟ قلت لك دون تردد : يستعدون للحرب القادمة ؛ لأنهم لم يَقْدَموا إلى فلسطين ليعملوا بأيديهم إلى الأبد ! لم يقدَموا طلباً للأمن والعيش الحلال ! بل أتوا لينتقموا من العرب أولاً ، ومن الدنيا كلها آخرا ، وما زالوا يحسبون أننا قوم ضعاف وأهل شقشقة لسان ، وأن بلادنا ـ لهذا ـ مركز مناسب جديد ليقفزوا منه إلى سيادة الدنيا !

فلنكن على حذر ، ولنذكر دائماً العبارة الذهبية التى قالها الرئيس السادات محطم أسطورة اليهود : « يد تعمل فى التعمير، ويد تعمل فى التحرير » .

ولنذكر أيضاً أن مبادرته التاريخية قد قضت على كل ما أذاعه اليهود عن العرب فى العالم كله من أكاذيب ، وما أحاطوا به أنفسهم من هالة مضللة تقول : إنهم مظلومون مضطهدون ، وإنهم مهددون فى وسطنا ، وإننا ندبر الغدر بهم ؛ إذ الحقيقة التى عرفها العالم الآن أنهم هم المعتدون الذين يصرون على العدوان ، وهذه إحدى النتائج الباهرة التى حققتها مبادرة السادات ! فقد مد لهم يد السلام ، فلم يقابلوها بالمثل ، وأسقط جدار الحقد ، ولكنهم لم يسقطوه ! ومنحهم الأمان فرفضوه ، وبعد ذلك كله لم يبق فى الدنيا إنسان يصدق ما يقولونه ، ولم تبق دولة تعطف عليهم ، ومهما تشدد رجال إسرائيل فلابد أن يتخلوا عن ذلك التشدد ؛ لأنهم فى الحقيقة لا يعتمدون على أنفسهم بل على التأييد الخارجى ، فإذا تراخى هذا التأييد تزلزلت أركان إسرائيل ! وهذا هو الذى يحدث الآن فعلاً .

***